



أما قبل...

د. هلال الحجري

من الشعراء العرب الذين اشتعلت شرارة الإبداع في طفولتهم الشاعر الجاهلي الشهير طرفة بن العبد. وهو من شعراء «الطبقة الأولى» حسب تصنيف النقاد العرب القدماء، ومن «أشعر الناس واحدة»، وأحدث الشعراء سناً، وأقصرهم عُمرًا. لم تنص المصادر القديمة على تاريخ حياته؛ وإنما رجح بعض المستشرقين والنقاد العرب المعاصرين أنه عاش في الفترة (٥٣٨-٥٦٤م) تقريباً؛ أي أنه عاش ٢٦ سنة فقط، وهي مرحلة مذهلة تُنبئك عن عبقرية هذا الشاعر وذكائه الخارق؛ إذ كيف استطاع في حادثة سنه أن يقول تلك المُعلِّقة الرهيبة التي يعدها النقاد قديماً وحديثاً من عيون الشعر العربي.

ونقرأ في سيرة طرفة أخباراً تدل على إرهابات عبقريته وهو طفل؛ فقد ذكر الميداني في «مجمع الأمثال» أن طرفة ذهب مع عمه في سفر وهو صبي، فنزلوا على ماء، فذهب طرفة بفخّيج له فنصبه للقنابر، وبقي عامة يومه فلم يصد شيئاً ثم حمل فخه ورجع إلى عمه وتحملوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب، فقال:

يا لك من قنبرة بمعمر... خلا لك الجو فيبضي وأصفري
وتقري ما شئت أن تنقري... قد رحل الصياد عنك فابشري
ورفع الفخ فماداً تحذري... لا بد من صيدك يوماً فاصبري!

وهذا من عجائب الأمور وأمارات الذكاء؛ حتى أن قول هذا الصبي «خلا لك الجو فيبضي واصفري» أصبح مثلاً من أمثال العرب يُستعان به في مناسبات شتى منذ الجاهلية إلى اليوم.

ولم يكن طرفة في طفولته شاعراً فحسب، وإنما كان ناقداً للشعر؛ إذ يذكر الميداني أيضاً في مجمع الأمثال أن الشاعر المتلمس، وهو خال طرفة، أنشد في مجلس لبنى قيس بن ثعلبة، وكان طرفة يلعب مع الصبيان ويتسمع، فأنشد المتلمس:
وقد أتأسى الهم عند احتضاره... بناج عليه الصيعة مكدم
والصيعة: سمة تؤسم بها النوق باليمن، فلما سمع طرفة البيت قال: استنوق الجميل، قالوا: فدعاه المتلمس وقال له: أخرج لسانك، فأخرجه فإذا هو أسود، فقال: ويل لهذا من هذا. فأصبح قول طرفة مثلاً يضرب في التخليط. وهذه حادثة تدل على ذكاء مفرط ومعرفة عميقة بلغة العرب؛ إذ كيف يصدر هذا النقد العميق من غلام يلعب مع الصبيان؟! إضافة إلى ذلك، تبقى معلقة طرفة شاهداً على عبقريته الإبداعية؛ فهي تعكس نظرته الناقبة للحياة، وهو شاب يافع، وتفويض بتأملاته العميقة حول الوجود، والموت، والمتعة، والحرية، والشجاعة. ولهذا؛ عني بها النقاد العرب شرحاً ونقداً، وعني بها المستشرقون تحقيقاً وترجمة.

◀ الإسلام والوعي السياسي

◀ الخلافة مدخل لتجديد الدورة الحضارية

◀ ابن خلدون.. أنموذج تفسير التاريخ الإسلامي

◀ الاستشراق.. بين الموضوعية والتحيز

◀ تصورات الحرب العادلة عند الفلاسفة العرب

◀ السعادة في الفلسفتين اليونانية والإسلامية

◀ الحركة الإنجيلية... نظرة عميقة وتحليل الواقع

◀ المدن الفاضلة في الإسلام

◀ العمران: رؤية دينية

◀ الإيمان علاقة إله بعبده

◀ نور الإيمان وآثاره في العمران